The Referential Foundation of Classical Narrative and Beyond

Saman Ibrahim Samail*, Abdullah Bayram Yunus
Soran University, Erbil, Iraq
* saman.smail@soran.edu.iq, abdullah.younus@soran.edu.iq

KEYWORDS: **Narrative criticism, Narrative, Classical narratology, Postclassical narratology, Cognitive narratology.**

https://doi.org/10.51345/.v37i2.1299.g688

ABSTRACT:

This study is positioned within the framework of modern and contemporary Western critical discourse in general, and within Arab criticism and narrative studies in particular. It aims to examine the temporal evolution of narratives and to explore the process through which narrative referentiality is established. The study constitutes a research journey that begins with classical narrative criticism, serving as a detailed introduction to an independent scientific field—classical narratology—derived from Saussurean linguistics and situated within the frameworks of modernism, formalism, and structuralism. It then traces the emergence of postmodernism and poststructuralism, developments that gave rise to postclassical narratology with its diverse branches and its multiple connections across different fields of knowledge.

التأسيس المرجعي للسرد الكلاسيكي وما بعده

م. م. سامان إبراهيم سمايل*، أ.د. عبدالله بيرم يونس

جامعة سوران، اربيل، العراق

* saman.smail@soran.edu.iq, abdullah.younus@soran.edu.iq

الكلمات المفتاحية | **النقد الروائي، السرد، السرد الكلاسيكي، السرد ما بعد الكلاسيكي، السرد المعرفي.**

https://doi.org/10.51345/.v37i2.1299.g688

ملخص البحث:

هذه الدراسة تتنزل في ظل خطاب النقد الغربي الحديث والمعاصر عموماً، وفي النقد والسرد العربي خصوصاً، وتهدف إلى مناقشة الصيرورة الزمنية للسرديات، وتحاول التعرف على عملية التأسيس المرجعي للسرديات.

إن هذه الدراسة رحلة بحثية تنطلق من النقد الروائي الكلاسيكي كتمهيد مفصل إلى حقل علمي مستقل وهو السرد الكلاسيكي المنهل من لسانيات السوسيري التي تندرج ضمن الحداثة والشكلانية والبنيوية، وصولاً إلى ظهور ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية والتي أدت إلى ولادة سرد ما بعد الكلاسيكي بفروعه المتنوعة وعلاقاته المتعددة بين العلوم والمعارف المختلفة.

أولاً: السرد الكلاسيكي:

السرد هو الأسبق والأوسع مدى والأكثر التصاقًا بالإنسان، وهو الذي وثّق لنا مطاف البشرية منذ الأزل إلى الأبد أو اليوم، فهو المنطلق للحظتها في امتداد واقعها حاضراً، إضافة إلى أنه هو المتنبئ بقادمها مستقبلاً مع الاسترجاع لتاريخها ماضياً، وهذا الأمر لا يتوفر في أي شيء آخر غير السرد، لكون السرد وجد كي يمثل الإنسان في معارفه مع التعبير عن ذاته تجاه كل ما حوله (هناوي، 2023: 3/ 8-9).

والسرد ليس معطىً عرضياً تتم المشاهدة فيه للعالم؛ بل هو فاعل ناشط وجاذب ومؤثر فيه مع أنه مغيّر فيه لكون الحضارة الإنسانية ممكنة، حتى الإنسان يعلم ويشعر بأنه مميز بوعي كينونته عن طريق السرد، فهو ينظر إلى السرد بأنه وسيلته لتنظيم فوضى التجربة تلك (رحيم، 2014: 5).

وبتعبير آخر، ومنذ تاريخ البشرية عبر الأزمنة المتعددة، رافق السرد البشرية كحكايات خرافية ثم كأساطير وأخبار وقصص، حتى أصبح كل إنسان في موقع الحكّاء بالفطرة كنموذج أول يمكن أن يتطور عبر الموهبة والخبرة إلى مرتبة أعلى هي السارد (هناوي، 2022: 68).

والسرد بأشكاله المختلفة، يُصاغ سواء كان السرد شكلاً متأصلاً أو جزءاً من أفعال الإنسان، أو شكلاً لغوياً وذهنياً يستخدم ليصف واقع الإنسان ويعيد بناءه، ويفهمه مسائل وصلت مناقشتها إلى مستوى معقد في

التاريخ والفلسفة أيضاً، حتى النظام الأساسي الذي تفرضه عملية السرد على عالم خبرتنا هو الزمنية التي تتضمن بين الماضي والحاضر والمستقبل بكل تسلسلاتها المختلفة (بروكميرو كربو، 2015: 29-30).

ومن هذا المنطلق، وفي سنة 1966 جعل (رولان بارت) ينتبه إلى أهمية السرد، حينما أشار بأن السرد موجود في كل شيء، كأنه تماماً هو الحياة بأكملها، بل يتجاوز الأمر عند (برايان ريتشاردسن) إلى أكثر من ذلك، فهو لا يقف عند اعتبار السرد موجود في كل شيء، بل يذهب إلى أبعد ذلك، حينما يشير إلى تشبيهه للسرد بدوامة تدور في فلكها مختلف الخطابات، مهما بدت متباعدة منها (يقطين، 2023: 123-124).

وقد أشار به (مارك تونر) بأن اختراع اللغة من قبل البشرية هدفها تعويض حاجتها إلى السرد، ورأى (جيروم برونير) أن السرد أداة أو وسيلة وعن طريقها نتمكن الحصول على نظرية للذهن.

وهناك آراء وتوجهات متنوعة حول أسبقية من تكلم أو أشار إلى السرديات، فيما يتعلق بالسرد وظهوره، فهناك الكثير من الملاحظ التي صاغها (أرسطو) عن الحكي، خاصة حينما أشار إلى تصنيفه لأجناس الخطابات، ومع كل تلك الجهود المبذولة طوال التاريخ (الشهرزوري، 2019: 104-105).

ومع ذلك هناك رأي آخر يشير بأن بوادِر تجلّيها، كاشتغال ومُمارسة، تعود إلى عام 1915، أي قبل تسميتها وتعريفها بأكثر من نصف قرن، ويمثل هذا التاريخ ميلاداً للمدرسة الشّكلانية الروسية (بن مالك، 2023: 11).

ويعود الفضل في تطوير الدراسات السردية وخاصة في ثلاثينيات القرن المنصرم إلى الشكلانيين الروس حينما أعادوا النظر بشكل جذري فيما يتعلق في قواعد القول بشكل أعم، ويعد الباحث الشكلاني الروسي (فلاديمير بروب 1895-1970م)، وكتابه الشهير (مورفولوجيا الحكاية الخرافية) الذي صدر في سنة 1926م بمثابة معلم بارز في تاريخ التنظير السردي (الشهرزوري ، 2019: 104-105).

ومن أهم الأجناس التي حظيت بعناية الشّكلانيين الذين اختلفوا في أسلوب مُعالجتهم لأنواعه وأنماطه هو السرد، ومع ذلك اتفقوا على أن يولوا شكلَه أهمية خاصة، باعتباره مُكوِناً ملموساً قابلاً للتحليل العلمي، على عكس المضمون الذي عَدُّوه مُكوِناً مجردًا يحتمل تأويلاتٍ عديدةً وقراءاتٍ مختلفة (بن مالك ،2023: 11).

ظهرت السرديات باعتبارها علماً للسرد في خضم المرحلة البنيوية، مستفيدة من مختلف الدراسات التي تناولت الرواية قبل هذه المرحلة.

ومصطلح علم السرد أو السرديّة (**Narratology**) من المصطلحات التي دخلت دائرة التوظيف النقدي تحت تأثير البنيوية، والهدف من ذلك توفير الوصف المنهجي للخصائص التفاضلية للنصوص السردية، ليشمل الجوانب النظرية والتطبيقية في دراسة منهجية للسرد وبنيته ... كما صاغ (تزفيتان تودوروف) مصطلح "علم

السرد" لأول مرة في عام 1969 في كتابه (قواعد الديكاميرون) وعرّفه بـ(علم القصة)، وقد انتجت الأيام المشرقة للنظرية البنيوية في الأدب من خلال بعض الأعمال الرائعة في محاولة تحويل علم السرد إلى مشروع علمي (مانفريد، 2011: 7).

ويرى الدارسون أن مصطلح السرديات على ارتباط قوي بالبحث البنيوي؛ لأن السرديات بصفتها علماً واختصاصاً وتصوراً منهجياً بل حتى إبدالاً معرفياً، ظهرت في المرحلة البنيوية في أواسط الستينيات من القرن العشرين في فرنسا، وبالتالي ومع أن روّاداً ذاع صيتهم على مستوى العالم بما قدموه من دراسات وبحوث في هذا المجال، إلا أنها فرنكفونية المنشأ، أي المنبع أو المصدر من فرنسا، ومن هناك انطلقت لتتوسع في جغرافيات ثقافية مختلفة سواء في أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية (خالص، 2024: 78).

والسرديات ابتدأت بشكل علني انتماءها إلى اختصاص علمي عام هو "البيويطيقا" أي أدبية الخطاب الأدبي، والتي نجد لها في التاريخ اليوناني جذوراً ضاربة، بينما الشكلانيين الروس حاولوا تجديدها بإعطائها بعداً علمياً، وفي المرحلة البنيوية ستتخذ لها موقعًا متميزاً ضمن الدراسات الأدبية السائدة، باعتبارها العلم الذي يعنى بـ"خصائص الخطاب الأدبي"، وتتخصص السرديات بالبحث، من المنظور البويطيقي نفسه، في السرد، ولهذا الاعتبار كان من بين الأسماء الأولى لهذا الاختصاص الخاص "بويطيقا السرد أو الحكي" (يقطين، 2012: 27).

ومن هذا المنطلق، يعدّ علم السرد بأنه أحد تفريعات البنيوية الشكلانية كما تبلورت في دراسات كلود ليفي ستراوس، وبعده تنامى هذا الحقل في أعمال دارسين بنيويين آخرين كـ البلغاري تزفيتان تودوروف الذي يعدّه البعض أول من استعمل مصطلح (ناراتولوجي- علم السرد)، إضافة إلى الفرنسي ألغرد جوليان غريماس والأمريكي جيرالد برنس ... بينما التطور البارز على صعيد الدراسات السردية كمبحث مستقل عن الأساطير أو الحكايات الخرافية أو غير ذلك جاء على يد الفرنسي غريماس، وكان من منطلقاته الأساسية مفهوم (الفاعل- **Actant**)، بوصفه وحدة بنيوية صغرى يقوم عليها السرد ... مع جهود هؤلاء أيضًا، سعى نقاد آخرون إلى تطوير نظام شامل ودقيق لكيفية بناء النص السردي من مثل جيرار جينيت، الذي ينطلق من الأساس البنيوي للتنظير للنص الأدبي (الرويلي والبازعي، 2002: 174-175).

ولقد استفاد البنائيون المعاصرون كثيراً من أبحاث الشكلانيين وأخذوا- عبر الاستعانة بالمبادئ اللسانية السوسيرية التي تميز بين الكلام واللغة- عبر مبدأ الدراسة التزامنية (**Synch Ronique**) للنص الأدبي، بمعنى تحليل النص الأدبي بغض النظر عن علاقته بصاحبه (المؤلف) أو بالوسط الذي برز فيه، والأبحاث التي تمت

في هذا الإطار الشكلاني والبنائي وصلت إلى نتائج تعتبر عَطاءً شديد الأهمية في مجال فهم بنية النص الأدبي، وإدراك طبيعة تركيبه الداخلي (لحمداني، 1991: 12).

وبطبيعة الحال، وفي ظل الحقبة البنيوية أيضاً، ظهر علمان سرديان أو اتجاهان سرديان أساسيان (السيمائيات أو سيميولوجيا أو سيموطيقا السردية والسرديات أو السرديات اللسانية):

فالأول: يهتم بسردية الحكاية دون الاهتمام بالوسيلة الحاملة لها، روايةً، أو فيلماً أو رسوماً- ما دام نفس الحدث يمكن ترجمته بوسائل مختلفة، بمعنى إنه يدرس مضامين سردية، بهدف إبراز بنياتها العميقة التي تعتبر عادة كونية (جينيت وآخرون، 1989: 97)، وعلى مستوى المتون أو النصوص التي تم الاشتغال بها علميًا أو نظرياً في ظل العلمين أو الاتجاهين، فإن العلوم السردية تشتغل إما بالحكايات البسيطة أو الأساطير، أو القصص القصيرة، ونجد ذلك من خلال أعمال السيموطيقيين ... هؤلاء يبحثون في السرد ويركزون على النصوص الأميل إلى الثبات البنيوي، وهذا ما نجده متوفرًا وعموماً في النصوص الشفاهية أو شبه الشفاهية مما يجري مجراها، ويعود ذلك للأسباب الكامنة في الأسس والمرامي التي ينشدون الوصول إليها (يقطين، 1997: 29-30).

والثاني: ليس موضوعه الحكاية، ولكن المحكي كصيغة للتمثيل اللفظي للحكاية، وكما يقدم نفسه مباشرة للتحليل، وإنه يدرس العلاقات بين المستويات الثلاث التالية: المحكي، الحكاية، السرد (جينيت وآخرون، 1989: 97)، وكذلك اهتموا أكثر بالروايات ذات الخصوصية الفنية سواء كانت قديمة ... وحديثة (يقطين، 1997: 29-30).

وهذا الاختلاف في محتوى أو مضامين أو متون لهذين العلمين أو الاتجاهين له أسباب، من جهة يبين لنا إلى حد يتحقق الترابط بين الأسئلة النظرية، والتحققات النصية، ومن جهة أخرى فإن المهتمين بنظريات السرد عمومًا كانوا يزاوجون في أعمالهم منجزات مختلف العلوم السردية، وينوعون أسسهم اللسانية أو الدلالية، وكذلك العلوم الإنسانية التي يستندون إليها في معالجتهم (الاجتماع- النفس- الانثروبولوجيا).

كما إن مختلف هذه الأبحاث تميل بصورة أو بأخرى إما نحو معالجة السرد باعتباره عملًا فنياً أو جمالياً، وهي بذلك تهتم على نحو خاص، وأساسي بالمستوى التعبيري، فتكون منطلقاتها أدبية وبلاغية وجمالية (البيوطيقا)، وإما أنها تنحاز إلى مقاربته علامة لا تختلف عن غيرها (يقطين، 1997: 30).

وفي الحقبة المذكورة أيضاً، شهدت الدراسات السّردانية منعطَفاً وتميُّزاً بالنّزوع العلموي الذي حفَّزت إليه البنيوية، حتّى غدت هذه النظرية صفة ملازِمة للسّرديات، فعلى الرغم من تعدُّد التيارات والاتّجاهات ووجهات النّظر التي صاحبت هذا الانعطاف العلمي في معالجَة السّرد وأعْقبته ... إلا أنها تأثرت بفلسفة البنيوية عامّة،

وأدواتها التجريبية في ميدان اللّسانيات، وقد انبرى علماء السّرد البنيويون لمقارَبة طبقة واحدة من طبقات المحكيّ، ونريد بها الحكاية والخطاب والسّرد والدّلالة، وراحوا يكشفون عن مكّونات كلّ طبقة وعناصرها، فيما يشبه التخصُّص المستقبل بموضوعه ونظريّته ومصطلحاته المفتاحيّة (بن مالك: 2023: 13-16).

ومن البديهي، أن الدراسات السردية متداخلة ومتقاربة، بحيث كل منها يبحث له عن هوية وأفق متميزين، وإذا كان في الستينيات من الصعب التمييز بين العلوم السردية ... فإن بدايات السبعينيات ستشهد مع ظهور كتاب "خطاب الحكاية" لـ"جيرار جينت" الميلاد الحقيقي للسرديات (يقطين، 2012: 28)، وفي القرن العشرين، نلاحظ تطور العلوم الاجتماعية والإنسانية مما أدى إلى أن فرضت الدراسات الخارج أدبية نفسها على الأدب، وعملت البنيوية على استعادة "الروح" الوضعية عن طريق إعطائها اللغة دوراً هاماً في الإنتاج الأدبي، وكذلك دافعت على دراسة الأدب دراسة علمية، ونتيجة ذلك في الستينيات والسبعينيات من خلال "البويطيقا" برز نظرية الخطاب الأدبي والسيمائيات الأدبية (يقطين، 2023: 43).

الأمر الذي أفضى إلى اتفاق عند الباحثين بأن دراسة الخطاب هي موضوع السّرديات البنيوية، بمعنى الكيفية التي تقدّم بها القصة، إضافة إلى طريقة تمثيل الأحداث، مع مراعاة الزاوية التي بها السارد للأحداث، أما عن خصائص المشروع العلمي للسرديات في مرحلة البنيوية كمرحلة تأسيسية، يمكن أن نلخص في أربع خصائص (بوعزة، 2021: 353):

-الأولى: من خلال اتخاذ السرديات البنيوية وخاصة عند (فرديناد دي سوسير) نموذجاً في الوصف والتحليل، وذلك عبر إضفاء طابع العلم على مشروعها المعرفي.

-الثانية: بالمعنى اللساني عند اللساني السيوسري (فرديناد دي سوسير)، عدّت السّرديات السّرد نوعاً من اللغة، بمعنى نسقاً من أشكال وقواعد منظمة.

-الثالثة: ومن ضمن تلك الخصائص، سعت السرديات إلى بناء نحو السّرد موازاةً نَحْو اللغة، بمعنى الكشف عن البنية العميقة لكل السّرود والحكايات، التي تنطوي على نسق ضمني من القواعد والخصائص المشتركة والمجرّدة.

-الرابعة: على صعيد تحليل السرد، عملت السرديات في بناء نماذج، وصفية وتصنيفية، وليست نقدية أو تأويلية؛ بمعنى أنها لا تدرس الأعمال السردية بغرض نقدها وتأويل معناها، وإنما تدرس شروط إمكان السردية التي تجعل الخطاب السّردي ممكناً.

وفي السياق نفسه نجد اسهام (جيرار جينيت) في وصف الخطاب السردي من أقوى الروافد للدراسات البنيوية للسرد، وحتى للأشكال الأدبية، وأحد أبرز جهوده النظرية ويتضمن التعريف به وإشهاره، منذ مقالته "حدود

السرد" ضمن كتابه "**Figures 111**" (1966)، ثم كتابه المشهور "عودة إلى خطاب الحكاية" (1983)، حينما بدأ بتمييز ثلاثي: بين القصة وهي مجموع الأحداث المروية، والحكاية أي الخطاب الشفهي أو المكتوب الذي يرويها، والسرد ويعني به الفعل الواقعي أو الخيالي الذي ينتج هذا الخطاب ... والقصد هنا في خطاب السرد عنده أي لم نجد ما يعني نصاً سردياً مفرداً؛ بل كانت وجهته إلى الكل، وإلى تحديد المبادئ العامة لبنية الخطاب السردي ولبنية الأدب عموماً (زياد، 2016: 136-137).

وهكذا يبدو، أن جهد السّرديات البنيوية قد انصرف إلى مقارَبة الخطاب السّردي في ذاته، وكأنه خطاب يقدّم نفسَه بنفسِه، بحيث لا يتداوله مرسِل ومرسَل إليه، فقد تيَقّظ جيرار جينيت لمقارَبة القوانين والقواعد التي تدمج الحكاية والسّرد في الخطاب فحسب، وهي الترتيب والدّيمومة والتّواتُر والصّيغة والصوت، ولم ينتبه إلى الأعوان التي تُسهِم في تقديم ذلك الخطاب إلا قليلاً (بن مالك: 2023: 35).

وكذلك نجد هذا الجهد عند (تودوروف) نفسه في مستهل مناقشته للأدب يستنتج ضرورة إدخال مفهوم تجنيسي "الخطاب"، ويدعوه إلى استعمال الخطاب الأدبي محل الأدب أو العمل الأدبي، ويعود سبب ذلك إلى أن هناك علاقات بين الخطابات سواء كانت أدبية وغير أدبية (سعيد يقطين، 1997: 14-15)، لكون السردية أصلاً هي: العلم الذي يُعنى بمظاهر الخطاب السردي، أسلوبًا وبناءً ودلالة (إبراهيم، 1992: 9).

ومن هذا المنطلق، فإن المنظرين البنيويين السرديين اجتهدوا كثيراً في سبيل تفسير كيفية اشتغال الكتابة السردية، حتى وصل الأمر إلى وضع النظريات وكذلك سنّوا الأسس وابتدعوا المفاهيم واجترحوا الفرضيات ... وكل ذلك من أجل فك إشكالية إنتاج الخطاب السردي التي بفهمها تُفهم العمليتان اللتان هما خارج الإنتاج السردي والقصد هنا بالإبداع من ناحية منتجٍ هو المؤلف ومن ناحية متلقٍ هو القارئ، وهذا كله قام علم السرد البنيوي بالإسهام فيه وبلورته بكثير من الجد والاجتهاد وبالفعل تمكّن من فك بعض المستغلقات المعرفية حول الخطاب السردي وميكانيزما إنتاجه (هناوي، 2022: 7-8).

وتحت تأثير اللسانيات السوسيرية أو التأثر بالنزعة الوضعية لها، عملت السّرديات على بناء نموذج صوري في الوصف والتحليل، وعلى غرار تمييز اللسانيات بين اللغة والكلام، وكذلك تحديد موضوعها في اللغة، استلهمت السّرديات هذا التميز اللساني، في تحليل مشكلة عدم تجانس موضوع الحكي وتعدد أشكاله وأجناسه، وعملت على صياغة نموذج بنيوي مشترك ... وتفادت السّرديات هذه المشكلة أي عدم تجانس الموضوع السردي، حين اعتمدت التمييز اللساني بين اللغة والكلام، وتعاملت مع السّرد على أنه نوع من اللغة بالمعنى اللساني؛ أي أنه نسق بنيوي يخضع لقواعد كلية عميقة؛ وبالمقابل عدّت السّرود والتجليات السّردية المتحققة سواء

نصياً أو تاريخياً، تمثلِ مستوى "الكلام"، وعلى أساس ذلك ستحدد موضوعها في النسق السّردي، وليس في تنويعاته الأجناسية ومظاهره النصيّة، وتحققاته التاريخية (الرواية، القصة القصيرة، الخرافة والأسطورة) (بوعزة، 2021 :348-349).

والسرديات معرفياً تحدِّد في نموذجها العلمي البنيوي القوانين التي تنتج النص السردي، بحيث هذا النص بنية لسانية، وتنشغل تحليلاً، عبر دراستها للنص السردي عن طريق توصيف معالم أدبية ذلك النص بعيداً عن كل السياقات الخارجية، بمعنى أن كل قراءة بنيوية تطمح إلى اكتشاف القواعد والأنساق والضوابط الكامنة التي تقف وراء الممارسات الإنسانية والأدبية والاجتماعية والثقافية (تاقي، 2024: 55).

وتؤدي مكونات الوصف إلى تعزيز الانطباع بواقعية الأحداث المروية بقدر ما يطمح الوصف، شأنه شأن السرد، أن يكون إعادة تصوير، السرد حتى في حده الأدنى، يشتمل على علامات من الوصف، بحيث يشتمل الوصف إما عن طريق المجاز أو الاستعارة، على علامات تحدد الشخصيات، يقدم إشارات، يحيلنا حضورها، كما غيابها، إلى فهم الوقائع (آرون وآخرون، 2012: 596).

ومن ضمن الاهتمام بالأدب الداخلي أو الأدب القومي وإماطة اللثام عن الأدب الأجنبي من قبل منظري البنيوية، فإن "فلاديمير بروب" الذي يعدّ أحد رواد الفكر البنيوي السردي أسس نظريته على النظر في مادة الأدب الشعبي، بمعنى إنه لم يعول على الأشكال القصصية الغربية بخاصة، وكذلك "كلود ليفي ستراوس" في فحصه للبنية اتخذ الأساطير مادة لبحثه، وليست الأساطير مما يخص ثقافة دون أخرى ... وفي الإنجاز البنيوي متمثلاً في النظرية السردية، قد مكننا، ربما للمرة الأولى، من تناول أشكال القص على أساس علمي منضبط، وهذا لايعني بأن الفكر البنيوي مُنبَّت الصلة بما قبله، وما أكثر الكتابات التي تعود إلى الماضي القريب والماضي البعيد في محاولة البحث عن أصول هذا الفكر (برنس، 2003: 7-8).

ناهيك عن ذلك، من خلال السرديات الكلاسيكية ننتبه إلى الدور الهام والطليعي للدراسات الأدبية، من حيث الانتباه إلى السرد، وعن أهميته في الحياة، وهذا التحول بمثابة نتيجة لكي يستقطب السرد عناية علوم كثيرة لم تكن لها علاقة مباشرة بالأدب في كل تاريخها، وأصبح الحديث عن "المنعطف السردي" متداولًا في كل الكتابات التي تعنى بالسرد، وحسب كلام الناقد الأمريكي (ديفيد هرمان) في موسوعة روتليدج (2005) للنظرية السردية، بأن المنعطف السردي جاء كوليد للتطور الذي أدخلته النظرية البنيوية للسرد في فرنسا في النصف الثاني من الستينيات، بينما كلمة السرد لم تكن بين الكلمات المفاتيح في الأدب، وحتى لم يبدأ تداول هذا المصطلح في شمال أمريكا إلا في الثمانينيات من القرن العشرين (يقطين، 2023: 21).

وعليه، إذا كان علم السرد البنيوي أو علم السرد الكلاسيكي قد قال ما هو مهم ومع ذلك أفاض في سمات وموجبات ومسائل تصب من حيث فنية السرد وموضوعيته فإن علم السرد المعاصر أو علم السرد ما بعد الكلاسيكي يحاول أن يبتدع الجديد، وهذا لا يعني أن الأمر لا يتوقف في هذه النقطة؛ بل إنما يجترح علم السرد الكلاسيكي والقوانين التي سنَّه ووضعه من الفرضيات والمفاهيم والمنظورات التي كانت محل استقرار ولكن مع كل ذلك صار لزاماً تغييره والتجديد فيه ... وعلم السرد البنيوي أو كما هو معروف عند المدرسة الأمريكية بالكلاسيكي قد مثَّل حقبة معرفية مهمة، قطع فيها النقد الأنكلوسكوني أشواطاً مهمة وبارزة في فهم الخطاب السردي وسبر متاهاته، ولا يخفى أن لهذا العلم فضيلة على المدرسة الأمريكية وهي تجاريه بعلم السرد ما بعد الكلاسيكي مبتكرة من حيث المفاهيم والمنظورات (هناوي، 2022: 9-11).

ثانياً: سرد ما بعد الكلاسيكي (السرد الحديث)

لو نرجع إلى صيرورة التاريخ نجد أن لعقود من الزمن ظلت السرديات في مقاربتها للسرد منحصرة في أفقها البنيوي، مع أنها قد استطاعت أن ترسي مقاربة علمية ودقيقة للسرد من خلال المرحلة البنيوية، ولا ننسى مع كل ذلك مشروعها النسقي الذي لم يخل من مفارقات ابستيمولوجية، وأدى ذلك إلى أن كشف عن محدودية هذا الأفق البنيوي (بوعزة، 2014: 15).

وقد سار السرديون على نهج اللسانيين في تحديد المنهج، وإجراءات تحليله، مع أنهم راكموا خلال المرحلة البنيوية نظريات مع نماذج متعددة تمت المزاوجة فيها من خلال طرح الأسئلة النظرية من جهة، والاشتغال التطبيقي بالنصوص السردية في القديم والحديث من جهة أخرى، حينما فرضت السردية نفسها في مجالي الثقافة والأكاديمية معاً، لذلك يعتبر (جيرارجينيت) ومن دخلوا معه في نقاش وكذلك ممن اشتغلوا بتحليل السرد عن طريق كيفيات جديدة من أمثال (ميك بال، وشلوميت كينان) من ممثلي السرديات الكلاسيكية عند مؤرخي السرديات، مع الإشارة بأن من جاء في أواخر التسعينيات (1997) وفي بداية الألفية الجديدة ووصولاً إلى الآن، هم من حاملي لواء "ما بعد السرديات الكلاسيكية" (يقطين، 2019: 95-101).

وفي السرد البنيوي (الكلاسيكي) بناء النسق يعتمد على اللسانيات، وهذه الحالة تؤدي إلى إحداث القطيعة للسرديات مع نماذج التحليل على المستوى التاريخي والسوسيولوجي والسيكولوجي، فهذه البنية أصبحت نقطة الارتكاز في تحديد أدبية السرد، بعيداً عن التفسيرات التي تربط النص السردي بمرجع خارجي، أو بتأويل أيديولوجي (بوعزة ،2014: 25).

بينما مع كل هذا الانغلاق، السرديات البنيوية في الوقت الذي ظلت فيها ضمن أفق لسانيات الجملة، ومنغلقة على الحدود النحوية التي يفرضها نموذج افتراضي مجرد للسرد، بمعنى أنها لا تتجاوزها إلى ما هو أبعد من

الجملة، وفي هذه المدة أيضاً، ستظهر مقاربات دينامية جديدة، التي تقارب السرد في وظيفته عبر اللسانية، وهذا ما سيحتم انفتاح النظرية السردية على تحليل الخطاب وعلى الشعريات الثقافية والدراسات النسوية والنظرية ما بعد الكولونيالية (بوعزة، 2014: 35).

وهذه البنية أصبحت شيئاً يتم من خلاله إسقاط العمل بواسطة قراءة عوضاً عن كونه خاصية للسرد ويتم اكتشافه عن طريق القراءة، مع مراعاة التوجه الذي يشير بأن البنية استعارة يستخدمها القراء وخاصة ذوي الميل البنيوي، وذلك لإعطاء الانطباع بثبات واستقرار المعنى (كوري، 2020: 7).

فالسرديات الكلاسيكية هي التي تبلورت في المرحلة البنيوية، لكون البنيوية أصلاً جاءت لتكون إبدالاً (**Paradigm**) فكرياً جديداً عبر استفادتها من المنجزات السابقة من جانب، والعمل على تجاوزها بالانطلاق من الروح العلمية التي اشتغلت بها اللسانيات في دراسة اللغة من جانب آخر، (يقطين، 2019: 99-100).

والمقصود بالسرديات الكلاسيكية الأصول، في حين أن سرديات ما بعد الكلاسيكية- **Postclassical Narratology** تأتي بمعنى التطورات التي حصلت على السرد (يقطين ،2012: 28)، لأن السرد مرّ بمراحل مختلفة.

ويمكن أن نحدد مرحلتين لولادة السرد وتقدمه على مستويات متنوعة:

المرحلة الأولى: تتمثل بمرحلة التأسيس وارتباطها بالحقبة البنيوية، بحيث تشكلت فيها الأصول الكلاسيكية للدراسات السردية وهي بمثابة النواة الأولى.

أما المرحلة الثانية: فتبدأ في بداية الثمانينيات أو وسطها وتتضمن انفتاح السرديات على مختلف القضايا والمشاكل التي لم تذكر أو التي تم تأجيلها في المرحلة التأسيس، ومنذ أواخر التسعينيات من القرن الماضي تمت تسمية المرحلة الثانية من السرديات بـ" ما بعد السرديات الكلاسيكية" (يقطين، 2023:134).

وهذا لا يعني أن سرديات ما بعد الكلاسيكية أو ما بعد البنيوية ليست تجاوُزاً ولا نفياً للسرديات الكلاسيكية أو البنيوية؛ بل هي ملازِمة لها، ومتعلِقة بها (بن مالك، 2023: 64).

ومن الصعب أن نتكلم ونشير إلى سرديات ما بعد الكلاسيكية دون الرجوع أو دون تقديم سيرورة تاريخية عن السرديات الكلاسيكية والإشارة إلى حدودها المنهجية مع ما حققتها من نجاحات في السيرة الأدبية والثقافية والفكرية، وحتى سرديات ما بعد الكلاسيكية هي امتداد لها وتطوير لها ولا تلغها.

أما عن استعمال مصطلح "سرديات ما بعد الكلاسكية" لأول مرة فيعود إلى سنة 1997، حينما نشر مقال للناقد الأمريكي (ديفيد هيرمان) في مجلة الرابطة الأمريكية للغات الحديثة **Modern Language**

Association of Americaبعنوان "النصوص والمتتاليات والقصص: عناصر السرد ما بعد الكلاسيكي"، حينما أكد على ضرورة إعادة التفكير في مشكلة المتواليات السردية، وعن طريقها لإثراء نظرية السرد بأدوات يمكن استعارتها من تخصصات معرفية وبحثية أخرى (غشت، 2024: 81-82).

وعلى هذا الأساس بدأ مفهوم السرد ما بعد الكلاسيكي بشكل واسع وعميق مع كتابات الناقد الأمريكي (ديفيد هيرمان) في معرض كلامه عن التحليل السردي عامة، ومنذ صدور كتابه (سرديات: منظورات جديدة في التحليل السردي **Narratologies: New Perspectives on Narrative Analysis**) في سنة 1999بصورة خاصة، وهذا الكتاب له صدى كبير على مستوى الدراسات السردية، بحيث يعد بمثابة منعطف كبير في دراسة السرديات تحت تأثير طروحات مدرسة شيكاغو للنقد الأدبي والأرسطية الجديدة وما تعتمده من طرائق التحليل النصي (هناوي،2022: 53/1).

وبتعبير آخر ومع ظهور علم سرد ما بعد الكلاسيكي **Postclassical Narratology** يكون تاريخ السرد قد تجاوز المثلث البنيوي الذي أطرافه، إضافة إلى وضوحه على خارطة النقد السردي في العالم، خاصة حينما قام (ديفيد هيرمان) بالتنظير له وبعده من خلال عدة باحثين من أمريكان وألمان وصينيين من أمثال (براين ريتشاردسون ومونيكا فلودرنك وبيو شانغ) الذين عملوا في إطار تداخل السرد بمختلف التخصصات، وعن طريق وصف منهجي لشكل نص سردي متعالق بالعلوم الإنسانية والدراسات الثقافية والعلوم الاجتماعية (هناوي، 2022: 54/1).

ومع كل تلك التصورات نلاحظ أن بعضاً من علماء السرد وخاصة من روّاد الأنجلو أمريكي وعلى رأسهم (ديفيد هرمان وجيرالد برنس) يميلون إلى تعزيز السّرديات البنيوية أو الكلاسيكية (**Classique**) بتصورات ومفاهيم تنتمي إلى العلوم والمعارف الإنسانية، وذلك مراعاةً للتوفيق بين دراسة البعد النّصي المحايث للمحكيّ ومعالجَة أبعاده الخارجية للنص، بينما الأمور في السرديات الجديدة أو المتجدِدة التي يطلق عليها اسم سّرديات ما بعد البنيوية (**La narratologie post-structuraliste**) أو ما بعد الكلاسيكية (**Post- Classique**)، تشكل أشكال التعبير للإنسان جميعاً (بن مالك ،2023: 17-18).

أما عن التسمية في المجال النقدي فنجد أن علم سرد ما بعد الكلاسيكي أوسع من تحديده لكي يكون اصطلاحاً من اصطلاحات السرد، وحتى أعمق من مجرد النظر إليه تصوراً جديداً ما بعدياً يتضاد مع سرد آخر يوصف بأنه كلاسيكي، ويعود السبب إلى أن هذا العلم في بعده المفهوماتي يندرج كنظرية نقدية، وله حاضنته الفلسفية التي فيها للقارئ المركزية في الفاعلية السردية من ناحية ما يملكه من ثقافة وكذلك ما يتمتع

به من مرجعيات ونوازع ذاتية، بحيث تُمكنه من مشاركة منتج النص نصه، مساهماً معه من خلال إعادة إنتاجه أو اتمامه (هناوي، 2022: 109).

وهذا العلم أو المجال المعرفي الجديد المسمى بـ" السرديات ما بعد الكلاسيكية"، باختصار هو أكثر تأملاً، أو يريد أن يكون كذلك من قبله، إضافةً إلى أنه يميز بأنه أكثر تعدُّدية تخصُّصية وانفتاحاً على التيارات النظرية– النقدية التي يحفّ به، وكذلك أكثر ترحيباً، وتمدُّداً (من خلال جمع واحتواء ما حاولت السرديات الكلاسيكية تمييزه. النقدي– التأويلي بقدر الشعري– النظري، ونظرية المحكي، والنقد السرداني ودراسة النصوص، مع تلقّي الأسئلة كلّها التي سعت السرديات الكلاسيكية إلى تجنب عن طرحها) (برنس، 2020: 359).

وإمتداداً لهذا الاختلاف والتصور، فالسرديات ما بعد الكلاسيكية هي أكثر نفعاً أيضاً، وتجريبيةً وحتى تجريباً، ومزيجاً، وعلى أيّ حالٍ، أكثر ميلاً إلى الأيديولوجي وكذا الأخلاقي، وبالتأكيد، أكثر إقبالاً على السياسة، كما نعلم حتى الآن، من يُمكِن أن يبدوَ وضع التاريخ بين قوسيْن، مثلاً، رجعياً (برنس، 2020: 359).

إن سرديات ما بعد الكلاسيكية ضمن علاقتها مع النظريات الأدبية المعاصرة كـ(نظرية التلقي والنقد الثقافي والتفكيكية والتاريخانية الجديدة، وما بعد الكولونيالية) تهتم كثيراً بمشاركة القارئ والمتلقي، لكون الإنسان هو فاعل السرد وناطقه من جهة، ومن جهة أخرى عن طريق السرد يعبر، ولكون الإنسان هو المتلقي لهذه الفاعلية والمشارك في إتمامها عبر التأويل، وعن هذه المشاركة والتفاعلية لا مجال لحسرها إلا بين قطبين وهما المنشيء (المؤلف) والمتلقي وهو يتضمن كلاً من السامع أو القارئ (هناوي،2023: 3/ 9).

وحتى (رولان بارت) وهو من أقطاب السرديات البنيوية أشار في كتابه (إس/ زي) بالقول: "فبدلاً من أن يفترض وجود الدلالة في النص كشيء قابل للاستنباط بأسلوب التحليل العلمي، فهو على قناعة بأن القارئ هو مصدر الدلالة" (الرويلي والبازعي،2002: 176).

ولذلك يجب الأخذ بالحسبان بأنه لا مفر من السرد عموماً وهو على موازاة اللغة، أو ما يتعلق بالسبب أو النتيجة، مع وجود صيغة التفكير والوجود، رغم أن السرد المعاصر موجود بشكل مهتم في أبرز النواحي الفكرية والثقافية وفي الميادين والمجالات المتعددة، كما في التاريخ، والتركيز عليه في عمليات النظام القانوني، وضرورة استخدامه في التحليل النفسي والسيكولوجي، والعمق فيه عن طريق التحليل العلمي، مع الاحتواء عليه في الاقتصاد، مع عدم إغفال دور السرد في الفلسفة قديماً وحديثاً (كويري،2020: 6).

وإذا كانت السرديات البنيوية أو الكلاسيكية تقيم علاقتها الضيقة فقط مع البلاغة واللسانيات في الحقبة البنيوية، فإنها في حقبة ما بعد البنيوية صارت منفتحة على علوم أخرى: من مثل اللسانيات غير البنيوية سواء ما تتعلق بـ(النظريات الدلالية والتداولية ...)، وكذلك علومي الاجتماع والنفس، والتداخل مع الأنثروبولوجيا

والسياسة، إضافة إلى نظريات الذهن والتواصل والعلوم المعرفية والذكاء الاصطناعي والتكنولوجيا الجديدة للمعلومات والتواصل، وبهذه الحالة من الإمكانية للسرديات، تتوالد منها سرديات تداولية وأخرى اجتماعية أو نفسية أو أنثروبولوجية مع سرديات ثقافية وسرديات معرفية وأخيراً سرديات رقمية (يقطين،2012: 29).

وهذا لا يعني أن هذا الاهتمام يقتصر على دور المتلقي فقط، بل يتجاوز إلى ضرورة وجود العقل في السرد، لذلك توجهت سرديات ما بعد الكلاسيكية إلى استعادة هذه الميكانيزمية والمتمثلة باستثمار العقل كما عرفنا في السرد القديم والعربي تحديداً، فالعقل لا حدود لقدراته في التفكير بكل ما فيه ومع ما حوله من أشياء مرئية وغير مرئية، سواء معقولة أو غير معقولة أو ربما لا طبيعية، فالسرد نزوع داخلي يتملَّك الإنسان مع أنه يجري داخل جوارحه كفعل ونشاط إنساني في حياته ويفكر فيه عن طريق العقل، مع أن التفكير هنا يتجلى كموهبة كلامية فيتولّد من المتداول والمعتاد قوله (هناوي، 2023: 3/ 9-10).

وتدليلاً على موقع القارئ أو المتلقي في سرديات ما بعد الكلاسيكي، فإن ما يطرحه مؤسس هذا العلم (ديفيد هيرمان) حول استعمال العقل وتوظيف الوسائط الافتراضية في السرد، هدفه تحفيز القارئ وأن يجعل له موقع يضاهي موقع المؤلف كنوع من الالتفاف والتحايل على طروحات الأوربيين ما بعد البنيوية حول التلقي والقراءة (هناوي، 2022: 66).

ومن ضمن تحول السرد نحو السرديات المعاصرة، ظهرت سمات ثلاث وهي (التنوع، والتفكيك، والتسييس)، ومن الواضح أن تلك المفردات الثلاث متضمَّنَة من خلال التبادل، وهي مكونةً ثالوثاً، هذا التحول الذي وقع هو تحولٌ في الافتراضات العامة وإجراءات سرديات ما بعد البنيوية، مع مراعاة أهمية تلك المفردات، وتختلف أهمية كل منها ضمن أعمال محددة للسرديات والنظرية السردية (كويري، 2020: 10).

وفي هذا السياق، تحاول ما بعد البنيوية أن تبقى في مسار الحركة وتتجه بل تنادي إلى الحرية القائمة وتحول دون حدوث أي شيء يقيد تلك الحرية، وعن طريقها تحاول غلق الأبواب أمام كل أنواع الاستبداد والهيمنة الصغرى أو الكبرى، كما دعت ما بعد البنيوية إلى التأكيد على التنوع الثقافي والحضاري، مع خصوصية تجارب الشعوب المتنوعة، وهذا المسار يؤدي إلى أن لا تكون أي حضارة تدعي المرجعية أو المركزية أو التسلط، لكون كل حضارة هي التي تحدد وجود الأخرى، ونتيجة ذلك تتجه نحو العالم متعدد سواء على مستوى المركز أو الثقافات، ولكل ثقافة حق الوجود والعيش في الحياة، بل أصبح وجودها ضرورة لدوام حياة الآخر المختلف (خريسان، 2006: 172-173).

وبطبيعة الحال، فيما يتعلق بميادين كلا السردين، فإن التمييز الذي يقيم في الواقع، هو أنَّ السرديات الكلاسيكية أو البنيوية تضمُّ ميداناً عاماً فقط، ويشمل أنواعاً من السرديات، كـ(سرديات الحكاية وسرديات

الخطاب وسرديات التلفُّظ مع سرديات الدلالة)، في حين ميدان سرديات ما بعد الكلاسيكية أو ما بعد البنيوية تتداخل مع ميادين عامة من جهة وفرعية من جهة أخرى، بناءً على طبيعة سؤال الغائية؛ وقد تكون تلك السرديات المجتمعة بين سرديات سوسولوجية أو سرديات نفسية أو سرديات نسوية أو سرديات ما بعد كولونيالية أو عِرقية ...، والسرديات الأخيرة لا تتوقف عند هذه الحدود، بل يطمح مشروعها للتوفيق بين سؤال الماهية وسؤال الغائية، والتأليف بين العلمي والمعرفي، والتركيز على الموازنة بين الآني والتطوُري، مع الوقوف على مسافة واحدة من النّسق والسّياق (بن مالك، 2023: 67).

ومع تقدم الأيام والعصر والتطورات المرافقة، حاولت سرديات ما بعد الكلاسيكية أن تلائم موضوعها مع التغيرات الجديدة، حتى وصل إلى تمييزها عن غيرها من نظريات السرد، وهذه التغيرات والاستحداثات شملت: التحول أو الانتقال من الأدب نحو السرد الروائي، ولم يتوقف عند ذلك بل تجاوزه إلى غير الأدبي وغير اللغوي، أي من "الأدبية" تتجه نحو احتواء غير الأدبية أو "اللا أدبية"، ومن الخطاب والنص إلى السياق والتداول، بحيث أصبح السرد يتسع لكل شيء، وخلاصة ذلك تتم من خلال انتقال السرد من اهتمام النقاد والبلاغيين والأسلوبيين إلى علماء الاجتماع والإنسانيات وإلى ميادين المعلومات والحاسوب، وعلماء وأخصائيي الأعصاب والذهن، وكذلك مختصون من علوم متنوعة كـ(الاقتصاد، والقانون، والطب، والتربية، والتدبير (يقطين، 2023: 153-154).

ومع كل ذلك، السرديات ما بعد الكلاسيكية تتفرد بطبيعة الأسئلة التي تطرحها، فهي تستفسر عن طبيعة الخطاب السردي، بعد ذلك، ما هي السرديات؟، وما الذي يؤثر في طبيعتها وكذلك في درجتها؟، وما الذي يزيدها أو ينقصها؟، إضافةً إلى دراستها للعناصر التي تجعل القصة قابلة للسرد، في مقابل لا يمكن سرده **the unnarratable** وفق تعبير (روبن وارهول)، ولا تنتهي وظيفتها عند هذه النقطة، بل تبلورت نحو البحث عن العلاقة بين بنية السرد والشكل السيميائي، وتفاعلهما مع العالم الخارجي، وتطرح أسئلة عن وظيفة السرد، ومقاصد المرويات، فلا تقتصر على طريقة عرض المادة القصصية، بل تربطها بسياقاتها (الشهرزوري، 2025: 40).

وفي نفس الصدد نلاحظ، أن الرؤيا للسرد واسعة، بحيث السرد لا يتوقف في مرحلة محددة أو في نقطة مخصصة، حتى حياتنا الثقافية المعاصرة مقتحمة من قبل السرد بل وصل إلى حدِّ الدمغ، ومع أن الآثار الثقافية وإنتاجاتها التي تبدو أنّها لا تزال تنأى بنفسها عن الاستظلال بالسرد، أو بأحد أقطاعه أو أجناسه، وتقلصت إلى حدِّ الندرة، والسرد واستظلاله لم يتوقف عند فنون القول فقط، بل تجاوز الأمر نحو الموسيقا والرسم والرقص وغيرها، فالعمل السمفوني سرد موسيقيّ، إضافة إلى ذلك فالرسوم الكلاسيكية التي أخذت محتواها من

القصص الدينية والشعبية والأسطورية والأعمال التشكيلية المعاصرة التي تسرد بواسطة الخطوط والألوان مع موضوعات وقضايا سياسية واجتماعية وجمالية مختلفة، بمعنى أن المرونة الدالّة التي تمتلكها ظلال السرد تتجه نحو صلب الفنون غير اللغوية (صالح، 2003: 7).

ومن المفاهيم التي تبناها علم سرد ما بعد الكلاسيكي **Postclassical Narratology**أو ما بعد البنيوي وعن طريقها حققت بعض الكشوفات التي تصب في باب تجاوز الشائع السردي ألا وهو مفهوم علم السرد غير الطبيعي **Un-natural Narratology**، وقد جعل مجال هذا العلم في كثير من سرديات العصور الوسطى وعصر النهضة، ومن أجل ذلك ترتب تحديد في دراسة العلاقات والفاعليات التي لها صلة بالانتاج السردي ووظائفية عمل بنيته الداخلية بأطرافها الثلاثة (السارد والمسرود والمسرود له)، والسرد غير الطبيعي حسب تعريف أحد منظريه وهو (براين ريتشاردسون) هو السرد الذي ينتهك بشكل واضح أشكال السرد وأنماطه الخيالية المعتادة الشفوية أو المكتوبة، من خلال اتباع تقاليد سردية متغيرة وجديدة التي تخالف العناصر الأساسية المألوفة من خلال تقديم فرضيات غير محتملة أو لافتة للنظر (هناوي، 2022: 11-12-146).

ويعد هذا السرد بأنه واحد من بين أهم اتجاهات السرديات ما بعد الكلاسيكية، بل يمكن الذهاب إلى اعتباره من أهم الاتجاهات التي استقطبت الاهتمام وكثر الترويج لها بالقياس إلى غيرها. (يقطين، 2022 .(**https**://**www**.**alquds**.**co**.

وما هو مثير أن هذا الاتجاه ظهر على هامش المؤتمر الدولي لـ"الجمعية العالمية من أجل الدراسة السردية" (**ISSN**) في واشنطن سنة 2007، حيث رأى مجموعة من الباحثين المجتمعين في لوبي الفندق، وهم: ريتشاردسن (**Brian Richardson**) وألبير (**Jan Alber**) وميكيلا (**Maria Mäkëlä**) ونيلسن (.**H. S Nielsen**) أن المؤتمر منغمس في الاهتمام بالإبدالات الطبيعية في السرد، غير مراعين الجانب غير الطبيعي فيه، فدعوا إلى تأسيس سرديات تعنى بما هو غير طبيعي في السرد، سواء كان ذلك في نصوص غير طبيعية، من جهة، أو نصوص سردية تتضمن عناصر غير طبيعية من جهة ثانية. فكان الاسم الذي اقترحوه للجماعة هو «السرديات غير الطبيعية، وموضوع دراستها هو «السرود غير الطبيعية» (**Unnatural Narratives**) (يقطين، 2022 **A9**. **www**.**alquds**.**co**://**https**).

ويُعنى هذا العلم جلياً بالسرديات المضادة للتقليد في فهم العالم وتصويره، والتي تضع القارئ أمام استراتيجيات سردية مستحيلة **impossible narrative** فيما يتعلق برؤية العالم الفعلي، أما فيما يخص بالتمييز بين كلا العلمين، فإن السرد الطبيعي يقوم على فرضية مطابقة ما هو حقيقي ضمن سياق اتصالي يماثل أوضاع الواقع الحياتية، وعلى العكس فإن فرضية السرد غير الطبيعي تقوم على أساس عدم استنساخ العالم بشكله المباشر، وإنما التعبير عنه على نحو وهمي تحكمه مبادئ لا علاقة لها بالعالم الحقيقي من حولنا، لكن بالفهم الإدراكي

الذي يعزز الصلة التوليفية بين السرد والعقل، وإعادة بناء الفهم العقلي يكون لشكل من أشكال التواصل مع هذا السرد، وهذا يؤدي إلى أن يكون السرد غير الطبيعي أكثر تحدياً في التحبيك.

أما عن أهم منظري السرد غير الطبيعي (هنريك نيلسون وجان البر وبيوشانغ وبراين ريتشاردسون ومونيكا فلودرنك وروبين وارهول وكاثرين روماجنولو وهنريك سكوف نيلسون وجون هيجلوند)، وحسب تعريف (ريتشاردسون) فهو السرد الذي ينتهك بشكل واضح أشكال السرد وأنماطه الخيالية المعتادة سواء الشفوية أو المكتوبة، مع أنه متبع على مستوى تقاليد سردية متغيرة وجديدة تخالف العناصر الأساسية المألوفة من خلال تقديم فرضيات غير محتملة أو لافتة للنظر (هناوي، 2022: 79، 106).

وعلى مستوى الاقتراحات، نلاحظ أن (د. نادية هناوي) اقترحت تسمية (السرد غير الواقعي) كمقابل لـ(السرد غير الطبيعي)، وذلك بعد اطلاعها على مجموعة من أبحاث ودراسات وكتب من قبل الباحثين الألمان والأمريكان والأسيويين، وهي تشير إلى عدة دواعي وراء تغير هذه التسمية، منها: (هناوي، 2023: 59-62).

1. لكون الطبيعة من التعقيد لذلك لا نستطيع معه تفسير متضادات نظامها وتنافرات قواها وتعدد صورها.
2. كما إن واقعية أي مجتمع من المجتمعات تعكس طبيعة مكوناته البشرية والمادية، وما يتمخض عن تلك المكونات من صور ومدلولات فيها كثير من مظاهر التعبير السردي، وبعضها تصلح لأن تكون موضوعات تسخّر في سبيلها عناصر السرد بعضها أو كلها.
3. تنوع صور الواقعية التي بها يوصف السرد شكلا وموضوعا، كأن تكون واقعية نقدية أو اشتراكية أو سحرية، ومن هذا المنطلق يغدو وصف السرد بغير الواقعية مؤدياً إلى الواقعية نفسها، نظراً لشمولها مختلف التيارات والتوجهات والمدارس.
4. كما إن السرد واقعي لأنه منبثق من واقع الحياة في محاكاته لأحداثها ودلالته على أبعادها الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والفنية ومقصدية كاتبه ووعيه.
5. إن السرد الواقعي يأتي بمعنى العموم الذي لا تطابق فيه مع أية صورة محددة من صور الواقعية، أي لا قصدية التوجه نحو واحدة منها بينما تدلل التسمية المقابلة له وهي (السرد غير الواقعي) على مخالفة الواقعية بكل صورها ومعانيها في مقابل القصدية في التوجه الخيالي في السرد، وهو ما لا يستطيع أن يحققه مفهوم (السرد غير الطبيعي) الذي يوهم بالطبيعية ويشي بأن للطبيعة ما يضادها.

فالسرد غير الواقعي سرد يخرق المعتاد ويجعله غير مقبول لكنه بمنطقية التحبيك السردي يصبح معتاداً، فهو ليس كذباً ولا حتى خداعاً، بل مجموعة مسببات أفضت إلى نتائج مقبولة ومعقولة من ناحية منطقية الفواعل السردية وكذلك ما يسند إليها من فعل بطولي خارق أو عجيب وأهليتها في أن تكون هي الفاعلة بدور السارد أو بدور المسرود مع تسلسل الزمان السردي بطريقة معقولة ليست غرائبية مما يعطيها واقعيتها، وأخيراً يصبح السرد موصوفاً بأنه سرد واقعي (هناوي، 2023: 70).

وعرف أيضاً بأنه سرد مضاد وغير منطقي عبر ما يتعامل به مع الواقع باستراتيجية معاكسة، بحيث يجعل ما هو خيالي كالذي هو غير خيالي عبر إعادة صياغة دلالة (الواقعي) في تمثيل التسلسل الزمني وتوظيف الشخصيات الوهمية التي لزمن الطويل بقت في السرديات الواقعية تُرفض أو تُهمل أو تُهمش أو تُستثنى لتكون فاعلة وبطلة من خلال عقلنة السرد، وأقرب مثال على عوالم السرد غير الواقعي ما نجده في قصص الأطفال وأدب الخيال العلمي والروايات الساخرة الفكاهية والروايات المستقبلية التي يسافر البطل إلى أزمان بعيدة عنا بمئات السنين، وهذا السرد المذكور يصنع عالما خاصاً وجديداً (هناوي، 2023: 72-80).

الخاتمة:

1. بدأت مسيرة ولادة السرديات من الأرضية الخصبة المليئة بالتفاهمات والتجاذبات والآراء المختلفة.
2. هناك ميدان واسع قبل ظهور السرد، يبدأ من النقد الروائي الكلاسيكي عبر مدرستي الشكلانية في روسيا والنقد الجديد في أمريكا.
3. رافق السرد البشرية عبر الأزمنة المتعددة والغابرة، وذلك متمثلاً عن طريق فنون وأجناس مختلفة كحكايات خرافية ثم كأساطير وأخبار وقصص.
4. السرديات الكلاسيكية تنعكس عبر تيارين، المتمثل بالسيمولوجيا السردية عند (جريماس)، والتيار الثاني المسمى بالسردية اللسانية التي يقودها (جيرار جينيت).
5. موازاةً مع سيطرة البنيوية على النقد الغربي، ومن خلال الاستفادة من الدراسات التي جرت عن الرواية ظهرت السرديات باعتبارها علماً للسرد.
6. والأدب عبر مراحله التاريخية، والسرد كمجال معرفي للنقد يستقطب إلمام عدة علوم والمعارف المتنوعة التي لها علاقة غير مباشرة مع الأدب.
7. ومن الصعب تحديد علم السرد ما بعد الكلاسيكي بأنه مصطلح من مصطلحات السرد؛ لأنه أوسع من ذلك، إضافةً إلى ذلك، فهو أعمق من أن ينظر إليه تصوراً مغايراً وما بعدياً يختلف مع سرد آخر يوصف بأنه كلاسيكي بنيوي.

8. والسرديات ما بعد الكلاسيكية، كمجال معرفي معاصر ومغاير، فهو أكثر تأملاً وتعمقاً، إضافةً إلى أنه يميز بأنه متعدد التخصصات والمجالات، وأكثر انفتاحاً على التيارات النظرية- النقدية التي يحفّ به، وكذلك أكثر ترحيباً.

المصادر:

1. إبراهيم، عبدالله، 1990، المتخيل السردي- مقاربات نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ط1، لبنان- بيروت، المركز الثقافي العربي.
2. إبراهيم، عبدالله، 1992، السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
3. آرون، پ، وآخرون، 2012، معجم المصطلحات الأدبية، تر. محمد حمود، ط1، بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
4. برنس، جيرالد، 2003، المصطلح السردي، ط1، القاهرة، مصر: المجلس الأعلى للثقافة.
5. بروكمير، جيتز، وكربو، دونال، 2015، السرد والهوية: دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تر. عبدالمقصود عبدالكريم، ط1، القاهرة، مصر: المركز القومي للترجمة.
6. بوعزة، محمد، 2014، سرديات ثقافية: من سياسات الهوية إلى سياسات الاختلاف، ط1، الجزائر: منشورات الاختلاف.
7. بوعزة، محمد، 2021، السرديات: مسارات وإبدالات، مجلة التفاهم، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط، سلطنة عمان، ع(5).
8. غشت، أحمد خالص، 2024، السرديات ما بعد الكلاسيكية، مجلة البحوث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المغرب، مج1(5).
9. بن مالك، سيدي، 2023، السرديات البنيوية والسرديات ما بعد البنيوية: قراءات وترجمات، ط1، بابل، العراق: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.
10. تافي، سعيدة، 2024، السرديات من النقد إلى الإبدال الثقافي: سرديات ثقافية نموذجاً، مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث، ع11، مجلة علمية محكمة تصدر عن مركز ابن العربي للثقافة والنشر، فلسطين- غزة.
11. خريسان،علي باسم، 2006، ما بعد الحداثة: دراسة في المشروع الثقافي الغربي، ط1، دمشق، سوريا: دار الفكر.
12. ديكرو، أوزوالد، شايفر، جان ماري، 2007، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ط2، لبنان- بيروت، المركز الثقافي العربي.
13. الرويلي، ميجان و البازعي، سعد، 2002، دليل الناقد الأدبي، ط3، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
14. زياد، صالح، 2016، آفاق النظرية الأدبية: من المحاكاة إلى التفكيكية، ط1، بيروت، لبنان: دار التنوير.
15. زيتوني، لطيف 2002، معجم مصطلحات نقد الرواية (عربي- إنكليزي- فرنسي)، ط1، لبنان- بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
16. يقطين، سعيد، 1997، الكلام والخبر: مقدمة للسرد العربي، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
17. يقطين، سعيد، 2012، السرديات والتحليل السردي: الشكل والدلالة، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
18. يقطين، سعيد، 2023، السرديات ما بعد الكلاسيكية: مسارات واتجاهات، ط1، القاهرة، مصر: بيت الحكمة.
19. صالح، صلاح، 2003، سرد الآخر: الأنا والآخر عبر اللغة السردية، ط1، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.
20. رحيم، سعد محمد، 2014، سحر السرد: دراسات في الفنون السردية، ط1، دمشق، سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
21. كوري، مارك، 2020، نظرية السرد ما بعد الحداثية، تر. السيد إمام، ط2، البصرة، العراق: دار شهريار.
22. لحمداني، حميد، 1991، بنية النص السردي: من منظور النقد الأدبي، ط1، بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع.
23. مانفريد، يان، 2011، علم السرد: مدخل إلى نظرية السرد، ط1، دمشق، سوريا: دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.
24. هناوي، نادية، 2022، علم السرد ما بعد الكلاسيكي: السرد غير الطبيعي، ط1، بابل، العراق: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.
25. هناوي، نادية، 2023، علم السرد ما بعد الكلاسيكي: السرد غير الواقعي، ط1، بابل، العراق: مؤسسة أبجد للترجمة والنشر والتوزيع.
26. الشهرزوري، يادكار لطيف، 2019، السرديات المعاصرة من قبل الحداثة إلى ما بعد الحداثة – ثورة الخيال السردي، ط1، دمشق، سوريا: دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.
27. الشهرزوري، يادكار لطيف، 2025، السرديات ما بعد الكلاسيكية-قراءة تأويلية في روايات سعد محمد رحيم. ط1. سورية-دمشق، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع.

المواقع

28. يقطين، سعيد. 2022. اختصاصات السرديات ما بعد الكلاسيكية. https://www.alquds.co